

التزكية للمصلحين (٥)

الشيخ أحمد السيد.



الفهرس

المقدمة:

بسم الله، والحمد لله، وصلّ اللهمّ على رسول الله، استعينوا بالله، ونستفتح مجلسًا جديدًا مِن مجالس محاضرات التزكية للمصلحين، وهذا هو اللقاء الخامس من هذه السلسلة، بدأنا بمركزيّة التسكين ومكانتها في حياة النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، ثمّ انتقلنا إلى معالم التزكية، ثمّ كان الحديث عن وسائل التزكية، ثمّ الحديث عن عوائق التزكية الجزء الأول، اليوم أيضًا الحديث عن عوائق التزكية الجزء الثاني، وسأحاول أيضًا أن أُدرِج في موضوع اليوم مؤشّرات التزكية مؤشّرات صحّة التزكية، لا أدري هل يسع لها الحديث أم لا؟ إذا لم يسع لها الحديث سنُفرِد لها أيضًا محاضرةً سادسةً بإذن الله -تعالىﷻ-.

إذًا المادة متسلسلةٌ ومترابطةٌ فمن فاته شيءٌ يحاول أن يرجع إلى شيءٍ مما فات بحيث تكتمل الصورة، وأرجو أن يكون الحديث قد رَسم خارطةً تفيد لمن هو معتنٍ بهذا الملفّ؛ الذي هو مِن أهمّ الملفات في الخارطة الشرعيّة (ملف التزكية).

تكلّمنا في اللّقاء السابق عن عوائق التزكية باعتبار المصادر المؤدّية إلى العوائق، أي: المصادر التي تُنتِج عوائق التزكية. **وذكرنا أربعة مصادر:** النفس، الشيطان، البيئة، والمحيط، والأعداء، وذكرنا التفاصيل المتعلّقة بهذه المصادر، وما هي صور إنتاج كلّ مصدرٍ لهذه العوائق، ثمّ أشرت أيضًا في اللقاء السابق إلى الخارطة المتعلّقة بالقسم الثاني، وهي عوائق التزكية باعتبار مضامينها، أنّها تنقسم إلى مضمونين أساسيّين: شبهات، وشهوات.

والشبهات تنقسم إلى ثلاثة أقسام: شبهات فكريّة عَقديّة، شبهات نفسيّة، وشبهات منهجيّة، وقلنا أنّنا سنركّز؛ لأنّنا لسنا في سياقٍ عامٍ، بل سياق التزكية مع التركيز على المصلحين، وبالتالي قد يتمّ عرض بعض جوانب التحدّي والإشكال، التي ربّما لا تكون سائدةً في الفضاء العام وإنّما تكون أكثر حضورًا أو أكثر أهميةً بالنسبة للمصلحين.

ربّما لم نذكر أيّ حلول، وذكرنا الخارطة العامّة فقط لهذا الشباب، اليوم سأفصّل في عوائق التزكية، سأفصّل في العوائق فقط، واذكر بأنّ من كمال الإحسان في تناول الموضوعات المهمّة -بعد أن تتناولها من جهة الأهميّة والكيفيّة وتقرير سبل التحصيل- أن تحمي ما طرحت وما قدمت بذكر

التحديات والعوائق التي يمكن أن تحُول بين مَن يريد الوصول إلى ما ذكرت من سبل الوصول إليه وبين تحقيق ذلك، فهذا من تمام العرض ومن تمام الإحسان في التقديم، وهذا بشكلٍ عامٍّ ليس خاصًّا بموضوع التزكية، لمثلًا إذا أردتّ أن تتكلّم عن طلب العلم، فمثلًا مناهج طلب العلم، ووسائل تحصيل العلم، وآداب طالب العلم، وبعد أن أنتهي من الجيّد أن أذكر ما هي أهمّ العوائق أو التحدّيات التي تواجه طالب العلم في سبيل تحقيقه لما ذَكرت من وسائل وبناء وما إلى ذلك، وقل مثل ذلك في مختلف الموضوعات، وموضوع التزكية هو من أهمّ الموضوعات التي تحتاج إلى ذكرٍ لقضيّة العوائق.

الشبهات:

الشبهات العقديّة والفكريّة:

الآن سنتكلّم عن عوائق التزكية، فنبدأ بالقسم الأول الذي هو الشبهات، هناك شبهات عقديّة وفكريّة.

الشبهات العقديّة والفكريّة تتمثّل في الإلحاد، تتمثّل في التشكيك في الثوابت الشرعيّة، تتمثّل في التوجّه الذي يظنّ الإنسان أنّه إسلاميٌّ وليس إسلاميًا، أي: مثلًا في توجّه النسويّة، تظنّ بعض مَن تركب هذه الموجة أنّها تمشي في موجةٍ إسلاميّةٍ بينما هي تمشي في موجةٍ ليست إسلاميّةً.

هذه أبرز عناوين التحديّات الفكريّة التي يمكن أن تواجه المصلِحين في طريقهم وربما لم تكن مطروحةً في القاموس سابقًا، -سابقًا أي: قبل خمس عشرةَ سنةً فقط- ربّما لم يكن مطروحًا في القاموس عندما تتكلّم عن دعاةٍ، ولا تتكلّم عن مصلحين، ولا تتكلّم عن طلبة علم، فلم يكن مطروحًا أن تقول: والله من التحديّات التي يمكن أن تواجهونها تحدّي التشكيك في الثوابت الإسلامية، ولا الإلحاد، والذي عاش تلك الفترة يعرف أنّ هذا أصلًا غير موجودٍ في القاموس.

أي: **التحديّات التي يمكن أن تواجهها:** تحديّات الشهوات، ممكن تواجه الفتور، لكن أن تكون شبهات عقديّة متعلّقة بأصل الدين، هذا لم يكن أصلًا بالبال ولا بالخاطر أنّه ممكنٌ أصلًا يكون.

والواقع أنّه كان وحصل، وأنّ هناك أناسًا مِن الجنسَين كانوا في وسطٍ إسلاميٍّ، وفي وسطٍ دعويٍّ، وفي وسطٍ صالحٍ، وربّما عاشوا في مراكز، وربّما عاشوا في محاضن، وربّما حفظوا القرآن كاملًا، –وهذا واقعٌ– وربّما ساهموا في تدريس شيءٍ من القرآن، ثمّ بموجاتٍ معيّنةٍ، وبأسبابٍ متعدّدةٍ وقعوا في الإلحاد، وهذا حقيقيّ وفارقٌ صار خاصةً في أزمة ما قبل خمس سنوات، سبع سنوات من الآن كانت موجة الشبهات عالية.

وهذا الخطر مازال لم ينته، بمعنى أنّهم من الممكن أن يعود التحدي إلى الذروة مرةً أخرى، فممكنٌ أن يعود من خلال المعطيات الموجودة في الخارج الآن، أي: يُمكن أن يكون أيضًا مرةً أخرى مجموعة شباب طلّاب علم، أو نساء مهتمّات، وبعد مرحلةٍ يتأثّرْن أو يتأثروا بموجةٍ تشكيكيّةٍ جديدةٍ؛ لأنّ عوامل التأثر أو التأثير الخارجيّ لا تزال موجودةً كما هي.

لذلك الحديث عن إمكانية التأثر بشبهات عقديّة متعلّقة بأصل أو بثوابت الملّة بالنسبة لأناسٍ دعاةٍ، أو أناسٍ مصلحين هو حقيقيّ ويجب طرحه، حسنًا طرحه من أيّ اتجاه؟ أو في أيّ منحى؟ ما الذي جعلنا نقول الجهة التي ممكن نتناول منها هذه القضيّة؟

أنا برأيي أهمّ ما يمكن أن يُطرَح اليوم هو باب الوقاية، أكثر من باب المعالجة، بمعنى أنّه إذا وقع الإنسان في إشكاليّةٍ معيّنةٍ فهناك سبل معالجة، لكن الخطاب العام الذي يجب أن يوجّه للمهتمّين هو خطاب الوقاية وأنّه: "يا جماعة توجد فعلا موجةٌ وتوجد موجاتٌ، وتوجد إشكالاتٌ موجودةٌ في الخارج ممكنٌ التأثر بها؛ ولذلك هذا واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة سبل وقايةٍ، فاحرص ولا تتهاون في الموضوع، وإن شاء الله الجميع سالم".

تمام هذا المربّع الذي أرى أنه من الأفضل أن يُطرَح في الإطار العامّ، وليس أنّه تعالوا نتعلّم الشبهات شبهةً شبهة، ونجلس نردّ عليها مع ضرورة أن يكون هناك أناسٌ لديهم اختصاصٌ وتمكّنٌ في هذا المجال.

- **وسائل الوقاية:**

ما هي وسائل الوقاية التي تَصلُح في مثل هذا السياق؟ هناك عدة أمور:

١) **الوسيلة الأولى: ضرورة إغلاق ملفّ دلائل أصول الإسلام معرفيًا**، أي: ضروري لطالب العلم في هذا الزمن أن يضيف إلى مكوّناته المعرفيّة مكوّن دلائل أصول الإسلام، -أنا الآن لا أقصد كتابًا معينًا- أنا أقصد المعنى الموضوع دلائل أصول الإسلام أي: الدلائل المثبِتة لصحّة أصول ما يعتقده الإنسان المسلم.

وهذه الدلائل كما قلت ليس بالضرورة ألا تكون متضمّنةً للشبهات، وإنّما بناء تقريرٍ، وهذه كالجرعة الوقائيّة التي تحمي الإنسان في هذا الزمن، والكتب والمراجع والمصادر في مثل هذا الموضوع كثيرةٌ، منها:

كتاب (دلائل أصول الإسلام)، المقرّر في برنامج صناعة المحاور.

كتاب (النّبأ العظيم)، من الكتب التي تتكلّم عن دلائل النبوّة، مثل هذه الكتب والمعاني برأيي أنّه من المكوّنات المعرفيّة المهمّة لطالب العلم في هذا الزمان، بحيث أنّه لو خوطب بعد ذلك بشيءٍ ممّا يُعارض مثل هذا المعنى يكون عنده أصل الموضوع.

٢) **الوسيلة الثانية: أهميّة العناية بملفّ الثوابت أيضًا معرفيًا**، هذا غير الآن الأصول ثوابت، الثوابت هي التي نقول عنها دعائم المنهج الإسلامي الداخلي، التي أوّل ما نتكلّم عنها هي القواعد الخارجيّة المتعلّقة بصحّة النبوّة، وصحّة القرآن، وما إلى ذلك... الدعائم الداخليّة التي هي مثل: حجية السنة، مثل: "تثبيت الاحتياج إلى منهجٍ معينٍ لفهم الإسلام" .

أقصد بالمنهج -أو نقول باختصار- مثلًا المنهج الأصوليّ (منهج أصول الفقه) أنّ هناك قواعد لغويّة، وقواعد -نقول عنها بين العلماء في الجملة- بضرورة تطبيقها للفهم السريع، ما الذي يضادّ هذا الاتجاه، أو هذه الوسيلة، هذه هي النقطة في قضيّة المنهج، ما هو؟ القراءة المفتوحة للنصّ الشرعيّ.

وهذه منهجيّةٌ مطروحةٌ كثيرًا الآن، أنّه لا توجد قراءة صحيحةٌ، أو تفسيرٌ صحيح وخاطئٌ، ويعبّر عنه أحيانًا الإسلام بفهم من، ولا يقصدون طبعًا داخل هذا السؤال الاتجاهات التفصيليّة داخل التراث الإسلامي، لا. وإنّما المقصود أنّه ما هي الضمانات التي تضمن لي أصلًا أنّ هناك فهمًا يمكن أن يصنَّف بأنّه صحيح، أو فهمٌ يصنَّف بأنّه خاطئ؟ فهذه ملفّاتٌ أيضًا يجب إغلاقها من الناحية المعرفيّة بالنسبة لطالب العلم، أو بالنسبة للمصلح.

٣) **الوسيلة الثالثة: ضرورة الانتهاء أو البناء من بناء مرحلتين أو ثلاثةٍ من مراحل العلوم الشرعيّة**، وهذه القضيّة في غاية الأهميّة، وأنا ما أرى عذرًا لأيّ إنسانٍ يريد أن يقدّم شيئًا للإسلام والمسلمين، شيء أي: أقصد الاستمراريّة، أي: يريد أن يسير في طريقٍ ويصبر عليه حتّى يصل ثمّ يكون خاليًا من البناء الشرعيّ.

وبطبيعة الحال لن يكون متخصصًا، ولا يمكن أن يكون كلّ العاملين متخصّصين، ولكن الفكرة هي أنّ هناك قدْرًا أساسيًا مِن العلوم الشرعيّة، ولأجل كثرة الإشكالات، وكثرة الشبهات يجب أن نبنيَ مرحلتَين من العلوم الشرعيّة، وهذه مرحلةٌ أو مرحلتَين أو ثلاثة، هذه تعبيراتٌ قد نقول أنّها اصطلاحيّة، كلّ منهجيّةٍ لها التعبير عنها، لكن أنا عادةً أعبّر **بأنّها مراحل أربعة**:

١. المرحلة الأولى: مرحلة التأصيل.
٢. المرحلة الثانية: مرحلة البناء.
٣. المرحلة الثالثة: مرحلة التمكين.
٤. المرحلة الرابعة: مرحلة التوسّع أو التخصص.

أي: لك أن تجعلها خمس مراحل فتقول: التوسّع ثمّ التخصّص، ولك أن تُجمِل فتقول: التخصّص وهو يحمل في باطنه التوسّع.

ونحن في برنامج البناء المنهجيّ المفترض -بإذن الله تعالى ﷻ- أنّه سيغطّي ثلاث مراحل من العلوم الشرعيّة: مرحلة التأصيل، والبناء، والتمكين خلال أربع سنوات، فالذي يدخل البناء المنهجيّ -إن شاء الله- يحقّق هذه القضيّة، والذي لا يدخله فهناك برامج ومناهج كثيرةٌ جدًا لا حصر لها،

والعلوم الشرعيّة بشكلٍ عامٍ متّفقٌ عليها من ناحية تسميتها ومراحلها العامّة، فالغرض أنّه لا يحسن بإنسانٍ في هذا الزمن يريد أن يكون مصلحًا، أو داعيةً، أو خادمًا للإسلام والمسلمين في مشروعٍ ممتدٍ، ثمّ لا تكون لديه قاعدةٌ شرعيّةٌ، فهذا ضروريّ.

ومن أهمّ أسباب تذبذب واضطراب كثيرٍ مِن الشباب الذين كانوا في سابقة خيرٍ، ثمّ مرُّوا بموجة تحديّاتٍ وصاروا في سياقٍ منفردٍ، مِن أهمّ أسباب الاضطراب والتذبذب أنّه لا توجد قاعدةٌ شرعيّةٌ متينةٌ يأْوُون إليها، ويستندون عليها؛ لذلك هذا خيارٌ لا بديل عنه، ولا مناص منه لمن يريد أن يكون كذلك، والسؤال: "كيف؟" ليس هو التحدّي؛ لأنّ "كيف؟" مجابٌ عنها كثيرًا، فأهمّ شيءٍ هو سؤال القناعة بضرورة أن أفعل.

٤) **الوسيلة الرابعة: هي تعلّم، أو بناء أبجديّات التعامل مع الإشكالات**، فتوجد مقدمات، وتوجد أبجديّات للتعامل مع الإشكالات الفكريّة التي من المفترض أن يأخذها طالب العلم، وهذه تتمثّل في، مثلًا: صناعة المحاور في القسم الثاني هناك مستوىً كاملٌ عن ذلك من: أصول الخطأ في الشبهات الفكريّة، لِنَقُل كيف ينقد الإنسان الأفكار الخاطئة؟ وسائل التوثيق والتثبّت، في أشياء وقعت وبسبب النقصان زلَّ فيها كثيرٌ من الناس بإشكالات وشبهاتٍ، لم يكن من المفترض أن يقع فيها لو كان يمتلك مثل هذا، تستطيع فكّها بالتفكير الناقد، تستطيع عنونتها بأدوات البحث والتوثيق، أي هناك أكثر من عنوانٍ يمكن أن يغطّي هذا الغرض، لكن لا يصلُح أن يكون طالب العلم لديه معلوماتٌ فقط، وبعد ذلك ليس لديه أدواتٌ نقديّة، وكما قلت فكثيرٌ من الإشكالات يمكن أن تسقط عبر أدوات نقديّة.

هذه الأمور الأربعة والأضلاع الأربعة بالنسبة للشبهات الفكريّة والعقديّة كعائقٍ من عوائق التزكيّة التي لو تمّ مراعاة هذه الأمور في برنامج وفي سياق بنائي، فأنا أرجو -إن شاء الله- أن يكون المصلح، أو طالب العلم، أو الداعية، أو المهتمّ قد أخذ من الوقاية بنصيبٍ يمكن أن يكتفي به بإذن الله تعالى ﷻ. ثمّ بعد ذلك لو قُدِّر أنّه تعرَّض لإشكاليّةٍ ما استطاع الجواب عنها، فهذا له وسيلةٌ أخري في الأجوبة، لكن إذا كان كسياقٍ بنائيٍّ عام هذه أمورٌ أربعةٌ أعتقد أنّها كافية.

الشبهات النفسيّة والشبهات المنهجيّة:

هناك كلامٌ كثيرٌ في الشبهات العقديّة الفكريّة لكنّي سأتجاوزها، سأنتقل الآن إلى الشبهات النفسيّة، ودمجتها الآن في سياق التفصيل في الحلول، وكذا دمجتها مع بعض الشبهات النفسيّة والشبهات المنهجيّة.

شبهات نفسيّة لمن لَم يحضر اللقاء السابق، وقد قلنا أمثلتها، هناك تحدٍ جديدٌ في الأجيال الجديدة، -وليس المقصود بالأجيال الجديدة الذين أعمارهم الآن اثنا عشر وإحدى عشر، إنّما تشمل حتّى سنّ الجامعة- الآن هناك تحدٍ جديد لم يكن موجودًا أيضًا بكثرة، وهو تحدّي الهشاشة النفسيّة، وهذا موجودٌ بين الوسط المهتمّ، وذكرت أمثلته في السابق.

وفي البرامج العلميّة: كيف تلخص الكتاب؟ ممكن تقول لي ما هو المهم؟ أنا لخّصت كتاب ما هو المهمّ؟ لكن ما الذي سيأتي في الاختبار؟ طيب ممكن وممكن...، فيخرج من البرنامج؛ لأنّه كان في سؤال في الاختبار ما كان يعني مفروض أنّه يأتي لأنّه أنقصني درجة، هناك أمثلة -ليس من المناسب ذكرها-؛ لأنّه توجد أمثلةٌ معيّنةٌ، يعني بعض المواقف عجيبة، يعني في البرامج عجيبة، فأنت تلقي الرسالة تحاول توائم، فيقول: "طيب... ممكن طيب؟" سبحان الله يعني أشياء عجيبة.

فهو عمومًا توجد حالة من الهشاشة تحتاج انتباهًا، لأنّ الإنسان اليوم قد يفقد استقامته بقدرٍ من الضعف، والهشاشة الموجودة داخليًا، وقد يظنّ أنّ هذا عذرٌ له؛ وهذه مشكلةٌ كبيرةٌ جدًا، والأسئلة المنهجيّة مثل: قلق الوجهة، سؤال الجدوى والثمرة، هذه من أهمّ الأسئلة.

• سؤال الجدوى والثمرة:

أنا اليوم سأبدأ بسؤال الجدوى والثمرة مرّةً أخرى، سؤال الجدوى والثمرة المقصود به: ما فائدة هذه الأعمال؟ مثلاً يقول: "نحن جرّبنا وجرّبنا وجرّبنا وجرّبنا... وعشنا آمالًا وطموحاتٍ وكلّها تكسّرت على صخرة الواقع، فأنا سأبدأ أقرأ وأهتمّ، لكن لا ترفع سقف الطموحات والآمال؛ لأنّ الخير لن يتحقّق، فالعالم كلّه شرٌ محضٌ" ...إلى آخره

فسؤال الجدوى والثمرة هو سؤالٌ من الأسئلة الحاضرة الآن في الوسط الإسلامي، وهو يحتاج إلى انتباه، ويحتاج بناءِ مناعةٍ مِن أَن يكون هذا السؤال عائقًا، وطرح هذا السؤال ليس مشكلةً، بالعكس أنا حين أطرح هذا السؤال أريد إجاباتٍ واقعيّة، هذا ليس مشكلًا أبدًا، المشكِل حين يكون هذا السؤال عائقًا عن العمل، "فأنا تركت كلّ شيء لأنّني أنا ليس عندي جواب عن سؤال الجدوى والثمرة".

سأذكر الآن عدّة أمورٍ متعلّقةٍ بسؤال الجدوى والثمرة، واعتبروها أيضًا ضمن مربّع الوقاية، من الإشكالات التي في هذا الباب:

- **النقطة الأولى:** ضرورة وضوح تعريف الثمرة.

ضرورة وضوح تعريف الثمرة، والنصر، والفوز، والنجاح بالنسبة لكلّ فردٍ مسلمٍ، أي: ضرورة أن يُعَاد التعريف في النفس، ويكون راسخًا، ما هي الثمرة التي تسأل عنها؟ وما هو الشيء الذي إذا لم يتحقّق تقول فعلًا أنّه لم يكن هناك جدوى، وأنّه لم يكن هناك شيءٌ يستحقّ أن تبذل وقتك، وفكرك، وجهدك ...إلى آخره؟ ما هي هذه الثمرة؟ وإعادة تعريف القضيّة ليس موضوعًا جديدًا، وتكلّم عنه العلماء كثيرًا، وتكلّم عنه المفكّرون، ولكنّه بدأ يفقد نوعًا من الحضور في أرض الواقع، وجزء من سبب الفقدان هو بعض الشعارات المبالغ فيها؛ التي طرحها بعض أصحاب التأثير في العمل الإسلامي، أنّه سيحصل، وسيحصل بأشياء محددة، ثمّ لم يحصل، بل حصل عكس ذلك.

فشعر الإنسان باليأس والإحباط، بينما نحن نحتاج إلى إعادة التعريف بحيث يكون **هناك مسَلَّماتٌ واضحة.**

١) واحدة من المسَلَّمات ضمن هذه النقطة هي: أنّك في الإسلام مطالبٌ من حيث التكليف بالعمل، وأنّ الثمرة والنتيجة على الله ﷻ، وهذه أبجديّةٌ معروفةٌ لا تحتاج إلى طويلِ تقريرٍ، وهي كما قلت لها شواهد كثيرةٌ في البخاريّ؛ النبيّ ﷺ يتكلّم عن رؤيته للناس يوم القيامة متعلّقين بأنبيائهم، قال: "فيأتي النبيّ وليس معه أحدٌ" -نبيٌ وليس داعيةً- قال: "فيأتي النبيّ وليس معه أحدٌ، ويأتي النبيّ ومعه الرجل، والرجلان" -رجل ورجلان هم مَن استجابوا- لهذا النبيّ، نوحٌ -عليه السلام- من أوِلي

العزم من الرسل، وأخبر الله سبحانه وتعالى ﷻ عنه في سورة العنكبوت أنّه لبث في قومه ألف سنةٍ إلّا خمسين عامًا، ثمّ قال سبحانه ﷻ في سورةٍ أخرى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، وبَيَّن هذه المقدّمة التي هي تسعُ مائةٍ وخمسين سنةً بـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾. هذه ليست قصةً خياليّةً، هذه حقيقةٌ، وقعَ أن عاش –عليه السلام– تسع مائةٍ وخمسين سنةً، وبعد ذلك؟ لما بُعِثَ النبيّ ﷺ ينزِل الله عليه الوحي، فيقول له مثل ما صبر نوحٌ اصبر: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ هذه –كما قلت– أبجديّة، أي هي ليس فيها كبير علم، ولكنّها بدأت تفقد نيّتها، بدأت تفقد فاعليّتها. فأنا إذا كنت أعمل بشكلٍ صحيحٍ ثمّ لم تتحقّق ثمرةٌ ملموسةٌ لهذا العمل فهذا في القاموس الإسلاميّ الشرعيّ، وفي قاموس الوحي، ليس خسارةً ولا فشلًا، وأنتم تعلمون أن هذا لا يعني أنّي لست مكلّفًا بتجويد العمل حتّى يحقّق الثمرة، وإنّما يجب أن أسعى بأفضل الوسائل، ولكن إذا لم تتحقّق، فعند الله سبحانه وتعالى ﷻ النتيجة والتقوى.

٢) –يتبع النقطة الأولى، نقطة سؤال الثمرة– إعادة مركزية الابتلاء، آثار الابتلاء في موضعها الصحيح في فهم المسلم. وهذه كما قلت هذه في مرحلة ما من المراحل السابقة كانت أدبيّات أساسيّة ثمّ بدأت تُفقَد، هناك ابتلاء وهناك سُنّة تمحيص.

وهذا الابتلاء والتمحيص معناه أنّه ستأتي عليك أيّام وستأتي عليك مراحلٌ أنت تكاد تصل فيها إلى اليأس، والقرآن يصوّرها بهذه الطريقة، وأنّه بالثبات، والصبر، والتقوى، واليقين تتغيّر النتيجة والمعادلات، وهذا كما قلت: القرآن يبرزها بشكلٍ واضحٍ، فيقول سبحانه ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾، ويقول سبحانه وتعالى ﷻ :﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ليس معناها أنكم لن تدخلوا الجنّة، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي: هل هناك ظنٌّ لديكم في أنّكم يمكن أن تلجوا الجنة أو تدخلوا فيها بدون هذا الذي سيُذكَر، لا لن يكون، ما الذي سيذكر؟ ﴿وَلَما يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ إلى

أي مدى؟ ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، أيضًا هذه أبجديّة، ويجب أن يُعَاد تفعيلها، ويُعَاد حضورها.

ركّزوا معي في هذه النقطة والفقرة اليسيرة جدًا، **ما هي أعظم ثمرةٍ تتحقق لما يُعَاد تفعيل هاتين النقطتين؟** ما هي أعظم ثمرةٍ تتحقّق لما يُعَاد تفعيل نقطة أنّ الإنسان مطلوبٌ منه العمل، وليس مكلفًا بالنتائج؟ ولما تُفَعَّل نقطة سنّة الابتلاء والتمحيص، وأنّها سنّةٌ قاضيةٌ وماضيةٌ، ما هي أعظم ثمرةٍ تتحقّق بالنسبة للإنسان المؤمن حين تترسّخ فيه هاتين النقطتين؟

أعظم ثمرةٍ تتحقّق هي ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ﷻ بأعماله، أنّني أنا أعمل وأنا أعرف أنّه قد لا أُحَصِّل شيئًا من عملي، هذا يمكن أن آكل منه -كما قال خبّاب في صحيح البخاريّ-، وخبّابٌ هو نفسه الذي جاء للنبيّ ﷺ في بداية الدعوة، وقال: "يا رسول الله ألا تدعوا لنا؟ ألا تستنصر لنا؟" وقال له النبيّ ﷺ: "لقد كان يؤتى بالرجل مِن مَن كان قبلكم"، خبّابٌ الآن يتحدث بعد ما صارت الفتوحات، وجاء الخير والرخاء وتحقّقت الوعود، هذا في البخاريّ أيضًا، كلا الحديثين في البخاريّ، قال خبّاب: "خرجنا من مكّة للمدينة، وهاجرنا في سبيل الله، نبتغي وجه الله فوقع أجرنا على الله"، قال: "فمنّا مَن أيْنَعَتْ له ثَمَرَتُهُ، فَهو يَهْدِبُهَا " أي: يقطفها ويجنيها، والمقصود بالثمرة هنا: النصر، والفتح الدنيوي، والغنائم. "ومنّا من ماتَ ولم يأكُل من أجرِهِ شيئًا" -هكذا قال-، منهم: مصعب بن عمير، وذُكِر أنّه حين قتل لم يجدوا له ما يغطي بدنه، فكان مثالًا على من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، مصعب بن عمير عملَ وعملَ، وآخر شيءٍ في التراب، وما حتى وجدوا له شيئًا يغطّى فيه وانتهى، هذه هي الصورة الظاهرة، ولكنّ مرحلة الفوز والنعيم والعاقبة لديه.

فهذه الفكرة وهذه القضية إعادة تعريفها، أنّه أنا أعمل ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ﷻ، فإذا ما تحققت؟ كلّ ما يمكن أن يُحقّق ليس شرطًا، ولذلك الثمرة ليست شرطًا للعمل، وإن كان العمل شرطًا للثمرة، هذه خلاصة القاعدة، وهي مهمةٌ جدًا، الثمرة ليست شرطًا للعمل، وإن كان العمل شرطًا للثمرة، فلا يوجد ثمرةٌ بدون عملٍ، ولكنّ العمل لا يتوقّف على اشتراط الثمرة.

إذًا هذه النقطة الأولى في الوقاية من سؤال الجدوى والثمرة، هذه الآن النقطة الأولى في الوقاية من إشكاليّة سؤال جدوى الثمرة.

- **النقطة الثانية: معرفة خارطة المشكلات.**

النقطة الثانية في الوقاية من إشكاليّة سؤال الجدوى والثمرة: معرفة خارطة المشكلات، وتاريخها، ومقدار تأثيرها، وعدم اختزال الواقع بنظرةٍ تسطيحيّة تؤدّي إلى قراءةٍ غير صحيحةٍ للحلول، أي: هناك كثيرٌ من الناس الجيّدين يبدأ الاهتمام والعمل، ثمّ يبدأ بالعطاء، وهو يعتقد أنّ مشكلات الواقع بسيطة، فغاية ما في الموضوع أنّه هناك مَن يشربون الخمر، أو هناك أناسٌ أخلاقهم ليست حسنة، وهناك بناتٌ لا يلبسون حجابًا صحيحًا، وهناك شبابٌ لا يصلّون، فهيّا نغيّر الواقع وتشرق الشمس على الدنيا ويزول الظلام.

لكن الموضوع ليس كذلك، المشكلات في الواقع أعقد بكثيرٍ جدًا، جدًا، جدًا، من هذه الصور الخارجيّة التي تعتقد أنّها هي المشكلات، فهناك ظروفٌ وقوالبٌ أدّت إلى خروج هذه المشكلات، هذا الذي خرج، هذا الذي رأيته، هذا الذي تعرف أنّه مشكلة، هناك أشياءٌ خرجت وأنت لا تعرف إنّها مشكلةٌ أصلًا لكنها موجودةٌ وكثيرةٌ جدًا، وهناك أشياءٌ موجودة، لكنّها لم تظهر على السطح، تأتي ظرفٌ خارجيّ، أو أزمةٌ تخرجها، وهناك كثيرٌ من هذه الأمور لها جذورٌ في الأرض، هي أعمق بكثيرٍ من أضعاف، كما يُقال: رأس الجبل الظاهر فقط.

فمشكلة قراءة الواقع قراءةً اختزاليةً، وقراءةً تسطيحيّة، أن يقدّم الإنسان حلولًا لهذه المشكلات، ويعتقد أنّها حلولٌ ستقضي على المشكلات، وأنّه نحن نحتاج شيئًا من الهمّة، وإن شاء الله الأمّة الإسلاميّة ستنتصر، لا.

واحدة من الإشكالات التي تؤدّي إلى الإحباط واليأس والقنوط وما إلى ذلك هو أنك لم تقرأ مشكلات الواقع قراءةً صحيحةً أصلًا، واختزلتها اختزالًا شديدًا جدًا، ولذلك كلّما كنّا على معرفةٍ بمشكلات الواقع، وتعقّدها وتشابكها وتنوّع أبوابها، وكثرة منافذها، وامتداد جذورها وتاريخها المؤثّر في

خروجها المفروض؛ المفترض أن أدرك أنّني لا أستعجل الثمرة، ولا أختزل الحلول، ولا أقدم الواقع على أنّه واقعٌ بسيطٌ، وأنّه اعمل أنت فقط قليلًا، وصراحة تنحلّ؟ لا أبدًا.

فأوّل قناعةٍ -إن شاء الله- تتحقّق بعد هذا، هو أن تأخذ نفسًا عميقًا جدًا وتقول: ممتاز، أنا مادام هذا الواقع كذلك فأنا انتهى دوري هنا، أي: أنا عليّ أن أُسهِم في حلّ شيءٍ من المشكلات، ولعلّه -إن شاء الله- يدير العجلة إلى الأمام، وبحسب قدرة الإنسان، وبحسب موقعه.

قد يأتي إنسان لديه من القدرة والإمكان، والوعي والفهم والعلم، والتأثير ما يمكنه أن يغطّي مساحةً أوسع من مشكلات الواقع، وبحسب إمكانات الإنسان وهذا سيأتي الحديث عنه -إن شاء الله-، لكن هذه فقط إشارة، فهذا ليس تحطيمًا أبدًا بالعكس، هذا مضادّ للتحطيم، مضاد للإحباط، هذا شيءٌ مهمٌّ جدًا، وإن بدا في صورته محطّمًا.

- **النقطة الثالثة:**

النقطة الثالثة -وهي مبنيّة على النقطة الثانية- هي: **ضرورة إدراك أنّك مسهمٌ في الحلّ والثمرة، ولست المتفرّد بصناعتها وتقديمها**، وهذا أشرت له في النقطة السابقة، ولكنّه هنا نقطةٌ مستقلّةٌ، فأنا غاية ما سأقدّمه أنّني مُسهِمٌ، متى ما عرفت نفسي أنّني المصلح الشموليّ الذي سيغيّر كلّ شيءٍ، سأكتشف بعد مدّةٍ أنّني أعطيت نفسي أكبر مِن ما يمكن أن أقدّم.

وينبني على هذا قضيّة التخصّص، وينبني عليه قضيّة المشاريع، وينبني عليه قضيّة التكامل فيما بيننا كعاملين، ومصلحين. فأنا أعلم أنّني مسهمٌ، وإذا كنتَ مسهمًا ستحتاج القضيّة إلى مسهمين آخرين، وإلّا لن تكتمل الصورة، وهذا يُحدِث حالةً من المحبّة، ومن التعاون بين العاملين؛ لأنّك تدرك أنّك مسهمٌ، وأنّك تحتاج إلى الآخرين؛ حتى يرفعوا معك هذه الصخرة التي أغلقت الغار.

- **النقطة الرابعة:**

-وهذا تقريبًا ذكرناه أمس مع الشباب، كان في درس-، هذه نقطةٌ عمليّةٌ مهمّةٌ جدًا، -وهذه مرّةٌ ثانيةٌ-، وأنا الثالث أقول لكم ركّزوا معيَ في هذا، بعض النقاط وهذه نقطةٌ مهمّةٌ جدًا وعمليًّا،

وليست مشكلةً، حتى لو كرّرتها عليكم في المحاضرات القادمة، إذ أنا عندي شيء من فوبيا التكرار، أحيانًا عندي نفورٌ زائدٌ إنيّ أقول شيئًا في المرّة الماضية، ليس هناك مشكلة، مهمٌ أن يتكرّر، وكان النبيّ ﷺ يعيد الكلمة ثلاثًا لتُفهَم عنه.

هناك احتياجٌ ضروريٌ جدًا جدًا لإدراك الثغور الكبرى المؤثّرة في خارطة مشكلات الأمّة الإسلاميّة، والثغور الصغرى التي أعمل عليها أنا، وأتعامل معها، وأنت تعمل عليها، والثالث والرابع، وإقامة الجسور بين الثغر الصغير، وبين الثغور الكبرى التي يُعمَل عليه.

مثال –وأمس أيضًا ذكرت هذا المثال–، السبب ثغر المشكلات الفكريّة والعقديّة التي تواجه الجيل والشباب ثغرٌ كبيرٌ، أليس كذلك؟ إلحاد، علمانيّة ليبراليّة، نسويّة، شذوذٌ من الناحية الفكريّة، ... إلى آخره والثغر كبير جدًا، ولما تأتي لتفتّته، ما هي صوره؟ لا تنتهي، صورٌ كثيرةٌ جدًا: مواقع، شخصيات، كتب، رموز، محاضن، ... إلى آخره أشياءٌ كثيرةٌ جدًا، هذا باعتبار، وباعتبارٍ آخر بمقدار المتأثّرين، وباعتبار تُقسّم فما تنتهي.

أنا أريد تأليف خمسة كتبٍ في الردّ على الشبهات الإلحاديّة، حسنًا؟ ممتاز الله يجزيك الخير، عندما آتي أنا أؤلّف هذه الكتب، أنا يجب أن أفهم أين أعمل أنا؟ أنا لست جالسًا أحرّر الأمّة الإسلاميّة، والأمّة الإسلاميّة فيها ثغورٌ كبرى كثيرةٌ جدًا.

واحدةٌ مِن هذه الثغور الكبرى: الإشكالات الفكريّة العقديّة التي أحدها الإلحاد، فأنا أعمل في ثغرٍ صغيرٍ في معالجة مشكلة الإلحاد التي تنتمي إلى الثغر الكبير، الذي هو التحديّات الفكريّة والعقديّة، وطبيعة معالجتي لها ليس في القضاء على مشكلة الإلحاد، وإنّما توفير مادةٍ مرجعيّةٍ يمكن الاستفادة منها في هذا الباب، رائع لا تعدّل ولا تنقص؟ نفس الكتب التي كنت ستألفها قبل هذا التصوّر هي نفسها التي ستألّفها بعد هذا التصوّر، لكن الفرق هو أنّك تدرك أين موقع عملك؟ وكيف تخدم الإسلام؟ وإلى أين يوصل هذا العمل؟ فضرورة الربط الدائم بين الثغر الصغير، والثغر الكبير.

أنا أيضًا ضربت مثالًا بمعلّم تحفيظ القرآن، فمعلّم تحفيظ القرآن قد يسأل السؤال: هل هناك جدوى من اشتغالي بتحفيظ القرآن، وكل هذه المشاكل موجودة وتحدث في واقع المسلمين؟ هل أنا على أساسٍ حقيقيّ أم أنّي أخدع نفسي؟ فأنا كان جوابي أنّه بحسب تصوّرك لعملك، وما يؤثّره على طبيعة عملك، سيكون الجواب إما نعم أو لا، وذلك كما يلي: إذا كنت تعتقد أنّ غاية ما تقدّمه هو تحفيظ القرآن، وأنّ أقصى ثمرةٍ تحقّقها هي إن يتخرّج عندك مجموعةٌ من الطلّاب؛ ليظهروا على مثل هذه المنصّة في نهاية العام، ويكرمك حفظة كتاب الله سبحانه وتعالى ﷻ، فأنا أقول لك هذا عملٌ صالحٌ وخير. لكن كمعالجة مشروع رسالة لخدمة الإسلام والمسلمين ومعالجة الثغور، فرأيي الشخصي: لا. متى **يمكن أن يكون على ثغرٍ حقيقي؟ إذا كان كما يلي:**

إذا اقتنع هو أوّلًا، ثمّ أقنع طلّابه وغرس فيهم أنّ <u>حفظ القرآن وسيلةٌ وليس غاية</u>، فهذه نقطة رقم واحد، وأنّه إذا كان الغاية النهائيّة التي تريد أن تصل إليها هو أن تحفظ القرآن، فالله يتقبّل، ولكن ترى هذه الغاية ليست هي الغاية الحقيقيّة هذه وسيلة، بل ليس فقط القرآن، وإنما كلّ العلوم الشرعيّة هي وسيلة وكلّها وسيلة، ليست غاية، فإذا غرست في طالبك أنّ حفظ القرآن هو وسيلةٌ وليس غايةً، وأنّ هذه الوسيلة تحقّق غاياتٍ معيّنةٍ، وهي:

١) تعظيم كتاب الله سبحانه وتعالى ﷻ، وأن يكون له هيبةٌ في النفس، وسطوة على القلب والضمير.

٢) أن يكون مصدرَ استمدادٍ عمليٍّ لك في التبصّر بمعالم الإسلام الكبرى ...وإلى آخره.

٣) أن تكون من أهل القيام به في الليل، أو في النهار، من أهل القيام به في الصلاة.

٤) أن تكون من أهل العمل به بشكلٍ عام.

٥) أن يكون وسيلةً للتفقّه في هذا الكتاب بعد ذلك، أي: لما تمتلك أدوات التفقّه، وهذا التفقه الذي في بطنه تعليمٌ ...إلى آخره.

فالغايات كثيرة وليس بالضرورة أن تتحقّق كلّها، لكن حين تُغرس مثل هذه المعاني فأنا فعلًا على ثغرٍ، وأنا أُخرج للأمّة الإسلاميّة حفظةً لكتاب الله يعظّمون هذا الكتاب، ويعتبرون تعظيمه غاية، ويفعّلونه كمرجعيّة، ويقومون به، ويعملون به، ويعلّمونه، وينشرونه.

طبعًا كما قلت ليس بالضرورة تحقّق كلّ هذه الغايات، -لكن هنا- يمكن أن نقول أنّه فعلًا الإنسان متى يحقّق هذا الشيء؟ يتحقّق هذا الشيء حين تحدث هذه النقطة. أن أدرك أين الثغر الذي أعمل فيه؟ ومتى أقول أنّه فعلًا أنا أعمل على ثغر؟ إذا تصورت أنّ هناك بوّابات كبرى للمشكلات أو للثغور، وأنّ هذا المشروع الذي أعمل فيه هو موصلٌ للحلّ في شيءٍ من الأشياء، وكما تعلمون مجرّد الحفظ ليس موصلًا إلى حلول، ولكن وجود حَمَلةٍ لكتاب الله ﷻ من أهل القرآن المعظّمين له، القائمين به، المستنيرة وجوههم به وقلوبهم به، هذا تخريج لأناسٍ يحتاجهم المسلمون.

عمومًا هذه بعض النقاط، وهي مختصرةٌ جدًا جدًا من مادّة "كيف نكون أملًا؟" والمادة هي أصلًا تتكلّم في هذه النقطة، في قضيّة الثغور، وكيف يحدّد الإنسان الدرجة؟ وما إلى ذلك، لكن هذه فقط إشارةٌ سريعةٌ، لاحظ الآن أنّ هذه المادّة عن التزكية، ولأنّ المادّة عن التزكية، فنحتاج توصيل العلائق قليلًا، نحن عندما تكلّمنا عن التزكية كمركزيّة، وأهميتها ووسائلها ومعالمها و...إلى آخره، ثمّ تكلّمنا عن العوائق التي تقطع طريق التزكية، وقلنا أحد هذه العوائق هو الشبهات، وأحد هذه الشبهات شبهاتٌ منهجيّة، وأحد هذه الشبهات المنهجيّة للمصلحين اليوم هو سؤال الجدوى والثمرة، فقد يكون هذا السؤال بطبيعته هذه قاطعًا لك في الطريق، قاطعًا من قطّاع الطريق الذي تريد الوصول إليه، ولذلك الجواب عن مثل هذا الإشكال هو من المعينات في قضيّة التزكية.

دعونا نعتبر أنّ هذا مرورٌ مختزَلٌ جدًا جدًا على عنوان الشبهات، بقيت شبهاتٌ كثيرةٌ في قضيّة علاقتها بالتزكية، لكن دعونا نستدلّ بالجزء على الكلّ، القسم الآخر من عوائق التزكية ما هو؟ الشهوات.

الشهوات:

سأنبّه هنا أنّه من الأخطاء الكبيرة جدًا حين نتكلم عن الشهوات أن نحصرها في الشهوات الجسديّة، لأنّه من الضروريّ أن نبدأ بالشهوات القلبية. وشهوات القلب هي الأساس المولّد للانحرافات في الجسد، وقد سمّاها الله سبحانه وتعالى ﷻ في كتابه أمراضًا، أو أمراض القلوب، وذكرها في مواضع كثيرة،

وهي تنقسم إلى قسمين: أمراض قلوب من ناحية الشبهات وأمراض قلوب من ناحية الشهوات.

من الآيات القرآنية التي ذُكر فيها (مرض القلب) والمقصود به مرض القلب من ناحية الشبهات: قوله تعالى ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ في سياق المنافقين، وقوله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، وهو مثالٌ دقيق جدا، لأنّه جاء في سياق شبهات مع وجود شهوة وهوى، ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا﴾، وهذا السياق يوضّح لنا أنّ المقصود بالشبهات ليس الشبهات المعرفية، كأن يقرأ كتابًا معيّنًا، بل القصد هي أمراضٌ متعلقة بأصل الإيمان وهو الريب، الشك والنفاق.

وأمّا المواضع التي ذُكر مرض القلب وقُصد به الشّهوات، قوله تعالى ﷻ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، وأيضا في نفس السورة: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المنَافِقُونَ وَالذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي المدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾، لأنّ الآية التي قبلها هي آية الحجاب. حسنًا إذن، فالقرآن يثبت أن هناك أمراضًا للقلوب، وهذه الأمراض شيء منها راجع إلى الرّيب والشك والنفاق –وأغلب ما يأتي من أمراض القلوب في مثل هذا السياق هو الأمراض المتعلقة بالنفاق.

والنفاق في القرآن مبحث عظيم جدًا يجب إعادة الاهتمام به إلى الدرجة العليا، لأنّه لا يُذكر في القرآن بأنه مجرد إبطان الكفر وإظهار الإيمان، بل يذكر الله سبحانه وتعالى ﷻ على المنافقين صورًا من الأعمال تدلّ على نفاقهم، وهذه الأعمال نراها اليوم في الواقع كما يقول المثل الشّعبي (على قفا من يشيل)، أي أنها كثيرةٌ جدّا.

فمن صور النفاق التي يذكرها الله سبحانه وتعالى ﷻ في القرآن، والتي تجدها في الواقع كثيرة قول الله سبحانه وتعالى ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، إلى آخر الآيات.

أي أنه عرض ضعف المنافق وميله إلى القوي وإلى أعداء الله سبحانه وتعالى ﷻ، وطعنه في المؤمنين والتشكيك فيهم وفي مسيرتهم ومحاولة إسقاطهم. فهذا كله من صور النفاق الموجودة في الواقع، والتي يعرضها القرآن بشكل مكثف.

كان ابن عباس يقول عن سورة التوبة –التي سميت الفاضحة– أنها ما زالت تنزل "ومنهم، ومنهم، ومنهم" في سورة التوبة. فالنفاق من أمراض القلوب التي يجب الانتباه إليها ويجب إبرازها حتى تكون مكشوفة وواضحةً ويُعلم أنّها من أمراض القلوب.

قلنا أنه من الخطأ عند الحديث عن الشهوات أن تُحصر في الجسدية، وإنما يجب الحديث عن الشهوات القلبية، والتي هي الأساس المولّد للشهوات الجسدية "ألَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلَّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلَّهُ ألَا وَهِيَ القَلْبُ"

ما هي الشهوات القلبية؟ الكبر، الرياء، حب الجاه والوصولية، الحسد، ...إلى آخره.
أمّا الشهوات الجسدية فهي معلومة وهي الشهوات المتعلقة بالعلاقة بالجنس الآخر، وشهوات النظر، وإطلاق البصر. فهذان النوعان من الشهوات من أعظم ما يعوق الإنسان عن التزكية، والعلاقة بين تأثير هذه الشهوات على التزكية سواء من جهتها القلبية أو الجسدية علاقة واضحة.

بطبيعة الحال، لا يمكن أن نستعرض أمراض أو شهوات القلب واحدةً واحدة، ونتكلّم عنها وعن علاجها في مثل هذا اللقاء، لأن كلّ واحدٍ منها يحتاج لقاءً. لكنّنا سنذكر معالم سريعة ومختصرة جدًا.

معالم حول الشهوات:

- **المعلم الأول:**

أول مَعْلَمٍ سيكون كاشفًا عن شيءٍ من الواقع. وهو أنّ كثيرًا من المشكلات والتحديات التي تحدث للمصلحين وبين المصلحين تأخذ في صورتها الظاهرة عناوين كثيرة منها عناوين فكرية ومنها

عناوين منهجية وفي كثير منها تجد أن عناوينها الحقيقية هي عناوين قلبية داخلية. إمّا من الحسد أو الكبر المتمثّل في رد الحق أو من غير ذلك.

ولذلك فإنّه من الضروري أن يتمّ الاهتمام برصد الواقع من هذه الناحية وإيجاد الحلول. وبخصوص هذا، أذكر أنه كان مطلوبًا في الدّفعة الماضية ثلاثة عناوين إلزامية للبحث، وكان واحدًا منها عن أثر ضعف التزكية على الخلافات بين العاملين في الوسط الإسلامي. لذلك فإنّ مجرد طرح الموضوع والاهتمام به هو خطوة في طريق التخفيف من آثاره.

- **المعلم الثاني:**

يخصّ **سبيل الوقاية من الشهوات القلبية** ويمكن أن نسمّيه **بمعلم ثلاثية المعرفة**: معرفة الرّب ومعرفة النفس معرفة الخلق.

هذه الثلاثية العجيبة، تبدو كأنها مروحة سريعة تدور تنُهي وتطرد وتُبعد الأمراض القلبية عن الإنسان، وينبغي عدم الاستهانة بها لأن لها —عمليّا- آثارً واضحة. فكلما تحققت معرفة الرب في القلب، ومعرفة النفس في القلب، ومعرفة الخلق في القلب، تأهّل الإنسان لئلّا تؤثر فيه أو تدخل عليه الشهوات القلبية.

- **سبل القضاء على الرياء:**

الرياء كمرض، من أعظم أمراض الشهوات القلبية، لا يكون القضاء عليه إلا بهذه الثلاثة:

١) **معرفة الرب سبحانه وتعالى** ﷻ، من جهة ماذا؟ من جهة أن الله أعظم من أن أقدّم له عملًا قد أشركت معه فيه غيره.

٢) **معرفة النفس**، من جهة أن نفسك هذه التي تريد أن تقدمها للناس كاملة صافية، أنت أعلم الناس بها، فلسان حالك يقول: "يا نفسي دعينا نستر ما بيني وبينك، فأنت تعلمين أن ذنوبك ونقصك وتقصيراتك لو خرجت لمن ترائين لهم لما التفتوا إليك".

٣) **وأما معرفة الخلق**، أي أن هؤلاء الخلق الذين رفعتهم إلى درجة بحيث أنك جعلت نظر الله لعبادتك ونظر الناس وآراءهم في كفّة واحدة، لا يستحقّون هذا حتى من الناحية الملموسة ومن ناحية المكتسبات. أي لماذا تُرائي النّاس؟ لتنال عندهم حظوة ومكان؟ فهل يستحقون أن تضحّي بعبادتك من أجل ذلك؟ إنّ أكبر ضرر يمكن أن ينالك في حياتك هو من هؤلاء الخلق أنفسهم. فإذا صفقوا لك اليوم، يمكن أن يرجموك بالحجارة غدًا.

إذن، معرفة الرب ومعرفة النفس ومعرفة الخلق، هي ثلاثيةٌ طاردةٌ لكثير من الأمراض والشهوات القلبية، ومن ضمنها طبعا العجب والكبر وحبّ الجاه، ومُعينة في التخفّف من آثارها وأثقالها.

- **المعلمُ الثّالث:**

هو **دوام التزكية**، أي أنّ استحضار معنى الاحتياج الدائم إلى التزكية هو من أعظم المعينات على التطهر من كلا الشهوات القلبية الجسدية.

- **المعلمُ الرابع:**

هو **عدم إسقاط النفس عند الخطأ**. ففي الكلام عن سياق المصلحين، قد يحدث أن يسقط المصلح نفسه لأنه وقع في ذنبٍ ما، قائلاً لنفسه: "أنت يا من تؤمل الآمال الكثيرة، وتحلم أن ستفعل وتفعل بعد عشرة أو خمس عشرة سنة، وأنت يا من قدّمك الناس تقع في ذنب أو تقصير أو كذا." فإسقاط النفس وإبعادها عن طريق الصلاح والإصلاح بسبب الذنوب هو من حيل الشيطان، لأنّ الله سبحانه وتعالى ﷻ يقول: ﴿وَأَقِمْ الصّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

فإذا زلّ الإنسان أو وقع فليكن هذا دافعًا له لمزيدٍ من العمل لا للتوقف من العمل. وبالمناسبة، فإنّ واحدًا من مكفّرات الذنوب هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو تحت عنوان الإصلاح، فقد ورد في البخاري من حديث النبي ﷺ: "فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالمِعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المنْكَرِ"، أو كما قال عليه الصلاة والسلام. لاحظ أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكفرٌ للذنوب، وهذا يختلف طبعًا عن حالة المنافق، الذي يأمر بالمعروف

ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه. أمّا الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الى الخير، ثم غلبته نفسه، وغلبه الشيطان فأسقطه أذنب ووقع وعصا، لا ينبغي أن يسقط نفسه ويبعدها ويقول إنني لا أصلح. فهذا من حيل الشيطان التي يمكن أن تقعد الإنسان ويجب أن يُرَاعى ذلك.

- **المعلمُ الخامس:**

والأخير **في الوقاية من قضية الشهوات دوام الاستغفار والتوبة والاستبشار بهذه المداومة** ، في البخاري قال النبي ﷺ: "أَنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّي أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتعالى ﷻ عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ أَذْنَبَ فَقَالَ رَبِّي أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَفِي الثَّالِثَةِ قَالَ سُبْحَانَهُ فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ"، وكلمة "فليعمل ما شاء" –ليست بمعني فليذنب كماء يشاء– بل معناها أنني سأغفر له طالما أنه يستغفر، ولو عاد واستغفر فسأغفر له، ولو عاد فاستغفر فسأغفر له.

وهذا مفهومٌ أيضًا بالآيات الأخرى، أنه لا يكون من نيّة الإنسان عند التوبة والاستغفار أنه سيعود للذّنب. ولكن إذا غلبته نفسه وعاد، ثم استغفر وتاب يغفر الله له، وهكذا.

فبالله عليكم أليس آخر إنسان ينبغي أن يُسقط نفسه من الطريق بسبب الذنوب هو الإنسان السّائر المصلح العامل؟ لماذا؟ لأنّ هذه الذنوب برغم ما فيها من الشر، هي من الخير الذي تذخره لنفسك حتى تذبح –لاحقا إن شاء الله– صنم الغرور في نفسك والعُجب، ثم حين يبلغك الله سبحانه وتعالى ﷻ مقاماتٍ عالية، ويجعلك في مقام النُصح والإرشاد والتوجيه وهداية الخلق مثلاً، ففي ذاك الوقت تتذكر الذنب وتقول هذا من فضل ربي، فلو أخذك الله بذاك الذنب أو أظهره لما استمع إليك أحد.

وهذه من فوائد الذنوب أنها تجعل في النفس كسرة وانكسارًا إلّا إذا أراد الإنسان أن يكابر، فهذا شيءٌ آخر. والكبر ليس له دواء إذا كانت إرادة الإنسان أن يُصّر عليه. لكنّ هذا من فوائد الذنوب، وهذا يقع تحت عنوانٍ أكبر وهو أن في وجود الشر خيرً كبيرًا، ومن جملته أنّ هذه الذنوب هادمةٌ لأصنام التكبر داخل النفس.

فهذه إذن خمسة أمورٍ معينةٍ بإذن الله على التفاعل مع عائق التزكية من جهة الشهوات.

مؤشرات التزكية:

وآخر عنوان أختم به، وهو آخر عنوان في سلسلة التزكية؛ المؤشرات. وهو عنوانٌ مستقلّ بعد العوائق ولا علاقة له به.

فالمؤشرات إذا وُجِدت في الإنسان فإنها علامةٌ على أنه يسير في الطريق الصحيح في التزكية، فنقول أن وُجودها دالٌّ على أن التزكية تتحقق في الإنسان أو تحققت فيه بإذن تعالى ﷻ. وأنتم تعلمون أن التحقق ليس هو الضمان، ولكنّه علامة على الطريق الصحيح.

المؤشر الأول:

وهو **دوام استحضار مراقبة الله سبحانه وتعالى ﷻ وتذكر الدار الآخرة**. فهذا من علامات صحة التزكية، أي أن الإنسان دائم الاستحضار. وما الذي يعاكس هذا المؤشر؟ الغفلة. وهي لفظٌ قرآنيٌّ واضح.

فالذي يكون في أكثر أحواله غافلاً عن الاستحضار إلى أن تأتي موعظةٌ بعد ثلاثة أسابيع، تذكِّره فهذا قطعًا التزكية عنده ناقصة. وأكثر منه إذا كان في أكثر العام غافلًا ويأتي رمضان ويرتفع الاستحضار، ثم بعد رمضان مباشرة يعود مرة أخرى لما كان، فهذا مؤشر على نقص التزكية.

المؤشر الثاني:

التقوى ومحاذرة الذنوب وخاصة في الخلوات، وهذا مؤشر من المؤشرات الواضحة على تحقق التزكية وصحة التزكية عند الإنسان.

التقوى ومحاذرة الذنوب في الخلوات خاصة، وعند معارضة الهوى أيضًا، أي إذا كنت لا تشرب الخمر، ولم تفكر في ذلك أساسًا، بل وقد تكون لك ذكرى سيئة جدا، مثلا يوم مررت أمام محلٍّ

تُشرب فيه الخمور وكانت تنبعث منه رائحةٌ كريهة، فأنت كارهٌ للموضوع كلّه. الحمدُ لله هذا أمرٌ طيّب، لكنه ليس المقصود هنا.

إنما محاذرة الذنوب والابتعاد عنها فيما في نفسك إليه داعٍ، فالتجار مثلا في كثيرٍ من المعاملات المالية تكون فيها محرمات واضحة. فالتقوى هنا بالنسبة لمن يتعامل بالمال هي في اجتناب المحرمات المالية عمومًا وقس على ذلك. لابدّ من التنبيه هنا أن الخطأ أو الزلل لا يتعارض مع التزكية، وإنما القصد أن يكون شعاره العام في حياته هو محاذرة الذنوب.

المؤشر الثالث:

تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى ﷻ وأمره ونهيه والخوف من مخالفة أمره، ولا أتكلم هنا عن الناحية العملية، وإنما عن التعظيم الدّاخلي: ﴿الذِينَ إذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، هذا الوجل والخوف من أعظم مؤشرات التزكية. كما أن تعظيم شعائر الله لا يكون بالخوف فحسب، بل قد يتمثل في احترام وتقدير ووجود الهيبة لما عظّمه الله سبحانه وتعالى ﷻ.

المؤشر الرابع:

نسبة النعم لله سبحانه وتعالى ﷻ وخاصة وقت الصعود والإنجاز، وهذا من علامات التزكية. وأعظم نسبة للنعم إلى الله هي التي تتحقق داخل نفسك، فنحن بالغالب معتادون على عبارات مثل "الحمد لله"، "كله بفضل الله"، لكن المعنى الأعظم من هذا هو حين تبحث وتبعد الأشياء التي في نفسك، فتلتقط المعنى الداخلي المستقر، فيكون عندك قناعة حقيقية بفضل الله عليك ونعمته عليك فيما أنجزت. وهذا صعب، ليس أن يعترف الإنسان لله سبحانه وتعالى ﷻ، وإنما أن يبصر حقيقة هذا المعنى في نفسه، ويكون مُشِعًّا منيرًا واضحًا مقتنعًا به قناعة تامة. وممّا يعين على هذا هو المعنى الذي ذكرته قبل قليل في الذنوب، أن الذنوب التي سترها الله عليك والتي لولا ستره عليك لما بلَغت، فهذا شيءٌ مما يذكرك بنعمة الله سبحانه وتعالى ﷻ وغيره كثيرٌ.

المؤشر الخامس:

قبول الحق والانقياد له وعدم بطره وردّهِ، ويعارضه الكِبر الذي عرّفه النبي ﷺ بأنه "بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ" أي احتقارهم، فمن المؤشرات قبول الحق وعدم رده.

لكن هنا عندي تنبيهٌ استطرادي قليلاً، فبعض النّاس يفهمون التزكية بطريقة خاطئة. فيأتي أحدهم يقيّدك ويقول: "اعترف اعترف! أرأيت أنت لست مزكيًا نفسك، فلو كنت كذلك لقبلت الكلام."

النفوس البشرية لها مداخل ومخارج، فهناك النّصيحة وآدابها، وليست أي طريقة تُقدم بها يُعتبر عدم قبولك لها من ضعف التزكية.

فحين حصل في وقت النبي ﷺ أن معاذًا كان يصلي ويقرأ القرآن. لم يفعل شيئًا، كان يقرأ القرآن، لكنه قرأ بسورة البقرة كاملةً، فخرج أحد المصلّين من الجماعة وانصرف وصلّى وحده.

فالنبي ﷺ ما كلّمه ولا قال له شيئًا، لكنه غضب على معاذ فقال له: "أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟"، فالمشكلة من معاذ ليست من ذاك الرّجل، رضي الله تعالى عن معاذ وهو من خيار أصحاب رسول الله ﷺ الذين نالوا شرف قول النبي ﷺ :"إِنِّي لَأُحِبُّكَ".

فمثلًا يقول أحدهم: "فلانٌ معنا في البرنامج وتزكيته ناقصة"، لماذا؟ "ارتكب خطأ فكلّمته، فأجاب: لا شأن لك". فإذا راجعنا الموضوع نجد أنّه قد شتمه وأهان كرامته، ثم يقول إنّ تزكيته ناقصة لأنه لم يقبل النصيحة. بل وتشعر أحيانًا أنّ البعض يريد أن يختبر تزكية النّاس.

لذلك ينبغي ألّا نجعل ضعف التزكية ملازمًا لأي شيء قُدم للإنسان فلم يقبله، وإنّما يجب التحقق من حسنِ النّصيحة. وحين يظهر الحقّ فالحذرَ من التكبر وإيّاك، لأنّ هذا هو بطر الحق الذي قال فيه النبي ﷺ أنه الكبر، والذي قال فيه، في نفس الحديث: "لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ". فينبغي الاعتراف بالخطأ أمام نفسك، وإذا المقام يستدعي أن تبيّن بيانًا عامّا فيجب أن تحاول أن تكسر نفسك قدر المستطاع.

المؤشر السادس:

هو **المحاذرة والخوف من فقدان نعمة الهداية ودوام الشكر لله سبحانه وتعالى ﷻ على هذه النعمة**. وهو قريبٌ من المعنى الذي ذكرته في قضية استحضار أو نسبة النعم لله سبحانه وتعالى ﷻ.

المؤشر السابع:

هو القدرة على الانتصار على النفس ومنعها في المواطن التي تأَمر فيها بخلاف ما أمر الله سبحانه وتعالى ﷻ. فحين تستطيع أن تتغلب على هذه النفس، والمقصود هنا هو التغلب الواضح حين يكون هناك داعٍ. فإن استطعت أن تغلبه فهذا من علامات التزكية: ﴿فَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾. ولذلك فقد ذكرت أنّ من وسائل التزكية أن يُعوِّدَ الإنسان يعود نفسه على مخالفة هواها، ولو في بعض الأشياء المباحة، حتى إذا جاءت الأشياء المحرمة يكون بينه وبين نفسه شيء من العادة في القدرة على المخالفة. وهذا منهجٌ له أصول نبوية يمكن تلمّسها في حديث السنن: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الإِرْفَاهِ". أي الترفه، الذي يتعارض مع داعي الإسلام الذي كان متكررا في تلك المرحلة، من الجهاد في سبيل الله، في القدرة على مخالفة الرفاهية والنعيم، وكذلك السير في طريق الآخرة بشكل عام.

المؤشر الثامن:

هو **محبة المرء لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه**، فهذا من علامات التزكية ومؤشراتها وهذا مضادٌ للحسد. لذلك جاءت صيغة الحديث أنّه: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". وفرقٌ بين صيغة "من سمات الإيمان" أو لنقل "من الأعمال الصالحة" أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وبين "لا يؤمن أحدكم" حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

فالحسد من أعظم أمراض القلوب التي تعيق التزكية، ومن مؤشرات صحة التزكية أن أحب لأخي المسلم ما أحب لنفسي، وألّا أكره نعمة الله عليه، وهذا من جملة تعظيم الله ﷻ والرضا بقضائه، قسم الله له أساسًا. فالله سبحانه وتعالى ﷻ كما قسم الأرزاق في الأمور المادية، فقد قسّمها كذلك في

الأمور المعنوية، وأعطى أي كلّ إنسانٍ من القدرة على الحفظ، والفهم، والذكاء، والتحليل، أكثر مني. والحسد في باطنه شيءٌ من الاعتراض على قضاء الله سبحانه وتعالى ﷻ وقدره فيما أعطى ورزق الناس.

المؤشر التاسع:

هو **أن تكون معالم السياق التزكوي الذي أعمل فيه برمته مستمدة من المدرسة النبوية**، لأنه أحيانا يكون هناك سياق تزكوي كاملٌ وفيه آثار حسنة وحميدة ويتحقق به شيء من المؤشرات، ولكن إذا جاء شيء من السنة الصحيحة الواضحة الصريحة التي لم يُربَّ عليها الشّخص ولم يعرفها شيخه يردّها هي ومن جاء بها. وهذا من ضعف التزكية، فمن الخطورة حصر التزكية في وسيلة ظنية معينة وجعلها هي الحق.

فلا بأس أن يكون في التزكية اتجاهات أو اجتهادات، وتفاصيل تقبل الاجتهاد وأمور واضحة منصوص عليها. لكن المؤشر الحقيقي لصحة التزكية هو حين يكون المعلَم موافقًا لمعلم المدرسة النبوية أو على الأقل غير معارضٍ له. أما إذا جاء التعارض فينبغي تقديم مَعْلَمِ المدرسة النبوية في التزكية على عليه.

المؤشر العاشر:

ويُعتبر من مؤشرات الآثار، وهو **الشعور بلذة الطاعة والعبادة وحلاوة الإيمان**. إلّا أنّ هذا المؤشر قد لا يأتي في البدايات. فعدم وجود هذا المؤشر في بداية الطريق التعبدي والسلوكي لا يعني أن الإنسان ليس على تزكية، لأن هذا من طبيعته -أي هذا المؤشر-، أن يزداد مع علو التزكية وكثرة أو ارتفاع النتائج في التعبد خاصة صور التعبد القلبي المتقدمة جدا التي قد تتطلب شيئا من المجاهدة والتخلص من العوائق والمكدرات.

فهذه إذن عشر مؤشرات لصحة التزكية وتحققها، فإن وجدت بمجموعها فهذه علامة خيرٍ كبيرة جدا للإنسان ونعمة عظيمة، وإن وُجد بعضها أيضا فهي نعمة ويسعى الإنسان لتحقيق ما تبقّى

منها. أما إن كان الإنسان فاقدًا لأكثرها أو لجميعها فهذا مؤشر إشكالٍ يحتاج الإنسان إلى إسعاف وإنقاذ حتى يدير العجلة للأمام بإذن الله تعالى ﷻ.

الخاتمة:

أسأل الله سبحانه وتعالى ﷻ أن يجعل هذا اللقاء مباركًا وأن يبارك في الحضور جميعا، وأسأل الله سبحانه وتعالى ﷻ أن يجعلنا وإيّاكم قرة عين لنبي الله ﷺ إذا التقينا به وأكرمنا الله باللقاء به في الآخرة –إن شاء الله–، فنسأل الله سبحانه وتعالى ﷻ أن يرزقنا الورود على حوضه، وأن يرزقنا سبحانه وتعالى ﷻ شربةً من يديه، ونسأله سبحانه أن يجعلنا ممن يرافقه في الجنة، ونسأل الله سبحانه وتعالى ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

اللهم ربنا أعنّا ولا تُعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسِّر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا. اللّهمَّ اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، لك راهبين مطيعين مخبتين منيبين. تقبّل توبتنا وثبت حجتنا واهْدِ قلوبنا وسدّدْ ألسنتنا واسْلُلْ سخيمة قلوبنا. اللهم إنّا نعوذ بك من شر ما عملنا ومن شر ما لم نعمل، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيينا ما علمت الحياة خيرا لنا، وتوفنا ما علمت الوفاة خيرا لنا.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك اللهم نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك برد العيش بعد الموت.

اللهم وإنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضرّاءَ مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين، اللهم يا حي يا قيوم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك. نسألك اللهم أن تجعلنا من المتوكلين المعتصمين المنيبين وأن تغنيَ قلوبنا. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم صلِّ على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وجزاكم الله خيرا.